مكتبة البنين
قسم الدوريات

# حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

العدد السابع
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

غير مصرح بأعارتة من المكتبة

# أضواء على الإسراء والمعراج

الدكتور
محمد نبيل غنايم
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

□□ . . . هذا البحث
يلقي الأضواء على معجزة الإسراء والمعراج ، معتمدا على ما جاء عنهما في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، ومستندا الى آراء كبار العلماء ، ولذافهو يقدم اولا الحقائق المذكورة في النصوص ، ثم ما رجحه العلماء او أجمعوا عليه ، ثم يفند أباطيل المنكرين وشبهات الضالين ، ويرد عليها بالأدلة الصحيحة وأقوال كبار العلماء ثم يلخص في إيجاز ما انتهى إليه من حقائق حول هذه المعجزة الكبرى .

تقـــديم :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

وبعد : فإن القارىء لكتب التفسير وشروح السنة والسيرة النبوية يطلع على كثير من الروايات والآراء حول موضوع « الإسراء والمعراج » ولا يكاد يخرج برأي متفق عليه أو فكرة مجمع عليها فمن ذلك مثلا : اختلافهم في السنة التي وقع فيها الإسراء والمعراج ففيها أكثر من عشرة آراء ، واختلافهم في الشهر الذي وقع فيه الإسراء والمعراج على أكثر من خمسة آراء ، واختلافهم في الليلة التي وقعا فيها أو وقع فيها كل منهما على أكثر من خمسة آراء ، واختلافهم في المكان الذي بدأ منه الإسراء هل هو المسجد الحرام ؟ أو بيت أم هانىء ؟ أو الحجر ؟ أو الحطيم ؟ أو غير ذلك ؟ ، واختلافهم في عدد مرات وقوع الإسراء ، هل كان مرة واحدة أو مرتين أو أكثر ؟ واختلافهم في ارتباط الإسراء و المعراج وانفصالهما ؛ بمعنى أنهما وقعا معا في ليلة واحدة ، أو وقع كل منهما في وقت مستقل ؟ واختلافهم في كيفية وقوع كل منهما ؛ هل تم ذلك في المنام أو في اليقظة ؟ وهل كان ذلك بالروح والجسد معا ؟ أو بالروح فقط ؟ أو كان الإسراء بالجسد والروح ؟ وكان المعراج بالروح فقط ؟ واختلافهم في نزول الرسول صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس : هل كان قبل العروج إلى السماء ؟ أو بعد الهبوط منها ؟ واختلافهم في المرائي التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم ؛ هل كانت في السماء الدنيا ؟ او بين السماء والأرض ؟ أو في السموات العلى ؟ . . . وهكذا . . اختلافات كثيرة جدا وعلى سبيل المثال نقدم النموذج التالي منها ؛ قال ابن حجر : وقد اختلف في وقت المعراج فقيل : كان قبل المبعث وهو شاذ إلا إن حمل على أنه وقع حينئذ في المنام ، وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث ثم اختلفوا ، فقيل قبل الهجرة بسنة ، قاله ابن سعد وغيره وبه جزم النووي ، وبالغ ابن حزم

فنقل الاجماع فيه وهو مردود فإن في ذلك اختلافا كثيرا يزيد على عشرة أقوال[1] ثم أخذ يذكر هذه الأقوال بالتفصيل ، وهكذا يقرر ابن حجر أن العلماء قد اختلفوا في وقت وقوع المعراج فمنهم من ذكر أنه كان قبل البعثة النبوية ، ومنهم من ذكر أنه كان بعد البعثة ، ثم ضعف القول الأول واعتبره شاذا ورجح الثاني وبين أن عليه جمهور العلماء ، ثم ذكر أن هذا الجمهور منه من رأى وقوعه قبل الهجرة بسنة ومنهم من رأى غير ذلك وأن بعض العلماء كالنووي جزم بأنه قبل الهجرة بسنة وأن ابن حزم نقل الإجماع على ذلك ، ولكن ابن حجر نفى كلا من الجزم والإجماع وبين أن للعلماء أكثر من عشرة آراء في ذلك فلا محل للجزم ولا للإجماع .

وقال الحلبي « ذهب الحاتمي الصوفي : إلى أن الإسراء وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة .... وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني أن إسراءاته صلى الله عليه وسلم كانت أربعا وثلاثين ، واحد بجسمه صلى الله عليه وسلم والباقي بروحه ، وتلك الليلة التي كانت بجسمه صلى الله عليه وسلم كانت ليلة سبع عشرة ، وقيل سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الأول ، وقيل ليلة تسع وعشرين خلت من رمضان ، وقيل : سبع وعشرين خلت من ربيع الآخر ، وقيل : من رجب ، واختار هذا الأخير الحافظ عبد الغني المقدسي وعليه عمل الناس ، وقيل في شوال ، وقيل في ذي الحجة ... وذلك قبل الهجرة بسنة ... وقيل بسنتين ، وقيل بثلاث سنين[2] .

وهكذا يقدم لنا الحلبي في سيرته صورة من صور الاختلاف الذي وقع بين العلماء في عدد مرات الإسراء والمعراج حتى يصل بها بعض العلماء إلى أربع وثلاثين ، ثم صورة أخرى من صور الاختلاف الذي وقع بين العلماء في الليلة التي وقع فيها ذلك ، والسنة التي كانت فيها هذه الليلة ، وقد دفع ذلك الاختلاف بعض الدارسين وبخاصة المستشرقين إلى انكار الاسراء والمعراج أو التشكيك فيهما ، وإذا كان الأمر محيرا كما رأينا لبعض الدارسين فكيف بالقراء العاديين أو عوام الناس ؟ من هنا رأيت أن ألقي الأضواء على هذا الموضوع الهام لعلي اكشف بعض أسراره وأزيل الغموض والحيرة التي وقعت فيه ، وسأعتمد في ذلك على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، ثم على آراء كبار العلماء ، وتحقيقاتهم ضاربا صفحا عن تلك

---

١ ـ عون الباري حـ ٥ ص ١٦٩ و ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، انظر فتح الباري حـ ١ ص ٤٦٠ وصحيح مسلم بشرح النووي حـ ٢ ـ ص ٢٠٩ و ٢١٠

٢ ـ السيرة الحلبية حـ ١ ص ٣٦٥ و ٣٦٦ ، وانظر : حدائق الأنوار حـ ١ ص ٣٨١ وهامشها ، والبداية والنهاية لابن كثير حـ ٣ ص ١١٩

الآراء الأخرى التي اعتمد أصحابها على روايات ضعيفة أو اجتهادات بحتة . وبالله التوفيق ومنه العون .

**أولا : الإسراء والمعراج في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة :**

١ ـ قال الله تعالى : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »[٣] .

٢ ـ وقال تعالى : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ »[٤]

٣ ـ وقال تعالى : « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ »[٥] .

٤ ـ في صحيح البخاري : كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء : « حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فُرج[٦] عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا ، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح ، قال : من هذا ؟ قال : جبريل ، قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة[٧] إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل يساره بكى ، فقال : مرحبا بالنبي الصالح والإبن الصالح ، قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نَسَمٌ[٨] بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح ، فقال له خازنها مثل ما قال الأول ، ففتح ، قال أنس : فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس

---

٣ ـ الإسراء : ١

٤ ـ الإسراء ٦٠

٥ ـ النجم ١٣ ـ ١٨

٦ ـ فرج : فتح .

٧ ـ أسودة بوزن أزمنة هي الأشخاص من كل شيء .

٨ ـ نسم جمع نسمة وهي الروح .

وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال أنس : فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فقلت من هذا ؟ قال : هذا إدريس ، ثم مررت بموسى ، فقال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى ، ثم مررت بعيسى ، فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى ، ثم مررت بابراهيم فقال : مرحبا بالنبي الصالح والإبن الصالح ، قلت : من هذا ؟ قال : هذا ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، قال ابن شهاب : فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبَّة الأنصاري كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم : ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف[٩] الأقلام . قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة ، قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعني فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى قلت : وضع شطرها ، فقال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ، فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته فقال : هي خمس وهي خمسون ، لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى ، فقال : راجع ربك ، فقلت : استحييت من ربي ، ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل[١٠] اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك[١١] .

٥ ـ وفي صحيح البخاري ؛ في باب « أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام : حدثنا أحمد بن صالح حدثنا عنبسة حدثنا يونس عن ابن شهاب قال ابن المسيب : قال أبو هريرة : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به بإيلياء[١٢] بقدحين من خمر ولبن فنظر إليهما فأخذ اللبن قال جبريل : الحمد لله الذي هداك للفطرة ، لو أخذت الخمر غوت أمتك[١٣] .

---

٩ ـ صريف الأقلام : أصواتها حالة كتابة الملائكة من أقضية الله مما تنسخه من اللوح المحفوظ .

١٠ ـ حبائل : عقود وقلائد من اللؤلؤ .

١١ ـ صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء .

١٢ ـ ايلياء : بيت المقدس .

١٣ ـ صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن باب أسرى بعبده ليلا .

٦ ـ وفيه أيضا : حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه[١٤] .

٧ ـ وفي باب المعراج : حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أخبرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به : بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني فقدَّ وسمعته يقول : فشق ما بين هذه إلى هذه ، فقلت للجارود وهو إلى جنبي : ما يعنى به ؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته ، وسمعته يقول : من قصه إلى شعرته فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة ، قال أنس : نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل ؛ وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت [١٥] فإذا فيها آدم فقال : هذا أبوك آدم ، فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت فردا ، ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء

---

١٤ ـ صحيح البخاري باب حديث الإسراء وقول الله تعالى « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » .

١٥ ـ خلصت : وصلت وانتهيت

جاء ، ففتح فلما خلصت إلى إدريس قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل : من هذا ، قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : من معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قال : مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى ، قيل له : مايبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قال : مرحبا به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ، قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها[١٦] مثل قلال هجر ، وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ، ثم رفع لي البيت المعمور ، ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن فقال : هي الفطرة أنت عليها وأمتك ، ثم فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال : بما أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم إني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت[١٧] بني إسرائيل أشد المعالجة ، فاجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت الى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت

---

١٦ ـ ثمر السدرة كالجرار التي تصنع في بلاد هجر

١٧ ـ حاولت معهم .

بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال : سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم . قال : فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي[١٨] .

٨ ـ وفي صحيح مسلم حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرْفه[١٩] ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التي يربط به [٢٠] الأنبياء . قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل ـ صلى الله عليه وسلم : اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا ، فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعالي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل : من أنت ؟ قال جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم إذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قال : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنابإدريس فرحب ودعالي بخير ، قال الله عز وجل « وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا »[٢١] . ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ فقال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ،

---

١٨ ـ صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب المعراج .

١٩ ـ بصره .

٢٠ ـ تذكير الضمير معنى الموضع .

٢١ ـ مريم ٥٧

ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب ودعالي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل عليه السلام ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم ، فرحب ودعالي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها[٢٢] من حسنها فأوحى الله إلى ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربي فقلت يارب خفف على أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت : حط عني خمسا ، قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت : فقد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه[٢٣] .

٩ ـ وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري ثم غسل بماء زمزم ثم أنزلت »[٢٤] .

١٠ ـ وفيه أيضا رواية إبي ذر السابقة عند البخاري[٢٥] .

١١ ـ وفيه أيضا رواية مالك بن صعصعة السابقة عند البخاري[٢٦] .

---

٢٢ ـ يصفها

٢٣ ـ صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات . وصحيح مسلم بشرح النووي حـ ٢ ص ٢٠٩ و ٢١٥ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ـ المرجع السابق من ص ٩٩ ـ ١١٠ ، والنووي من ص ٢١٥ ـ ٢٣٢ .

١٢ ـ وروايات أخرى فيها أوصاف بعض الأنبيا وبعض المرائي .

**ثانيا : « حقائق وترجيحات في الإسراء والمعراج » .**

من تلك النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة خرج جمهور العلماء بالحقائق الآتية التي لا مجال للشك فيها وإليك بيانها :

**اولا** : أن الله تعالى أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم ليلا من مكة إلى بيت المقدس ، والتعبير عن المكانين بالمسجد الحرام والمسجد الأقصى لأنهما أشرف البقاع وأعظمها عند الله تعالى في الأرض ، أو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ، وهي أساليب عربية وبلاغية صحيحة ومستخدمة ، وهذا يشمل ما روي من أن الإسراء كان من الحجر أو من الحطيم ، أو من بيت أم هانىء ونحو ذلك ، قال ابن كثير : « وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها فحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس »[٢٧] .

**ثانيا** : أنه قد عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى ، ورأى من آيات ربه الكبرى ، فالتقى ببعض الأنبياء وسلم عليهم ، ثم جاوزهم إلى مستوى أعلى يسمع فيه صريف الأقلام ، ورأى سدرة المنتهى ، وقد غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها من العظمة ، من فراش من ذهب ، وألوان متعددة ، وملائكة كثيرين ، ورأى جبريل على صورته الحقيقية وله ستمائة جناح ، ورأى البيت المعمور ، ورأى الجنة والنار ، وفرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة ، ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفا بعباده ، وقد أجمل القرآن الكريم كل ذلك في قوله : « لنريه من آياتنا » وقوله « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » وقوله « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

**ثالثا** : أن الإسراء والمعراج كانا بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروحه في اليقظة على الراجح من أقوال العلماء والصحيح من آرائهم قال ابن القيم « ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكبا على البراق صحبة جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماما وربط البراق بحلقة باب المسجد ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى سماء الدنيا[٢٨] . ثم ذكر معظم المرائي التي أشرنا إليها في « ثانيا » وقال ابن كثير : « والحق أنه عليه السلام أسرى به يقظة لا مناما

---

٢٧ ـ تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٤٩٠

٢٨ ـ زاد المعاد حـ ٢ ص ٤٧

من مكة إلى بيت المقدس راكبا البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج ، وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع ، وذكر المرائي السابقة ثم قال : هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه ، أو بروحه فقط ؟ على قولين : فالاكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناما[٢٩] . ثم أخذ في الاستلال على ذلك ، وسنعود إلى هذا الأمر عند ذكر الشبهات والرد عليها .

رابعا : أن الإسراء والمعراج بهذا الشكل الصحيح كانا في ليلة واحدة ومرة واحدة بدىء بالاسراء ثم المعراج وهي المرة التي تحدث عنها القرآن وأشارت إليها السنة ووقعت بسببها الفتنة وحدث التكذيب من المشركين ، ولكن جمهور العلماء لا ينكرون أن تكون هناك رؤى منامية غير الإسراء والمعراج رأى فيها بعض هذه المشاهد تهيئة لهذه الرحلة الحسية ، قال البيهقي بعد ان ذكر حديث مسلم السابق عن شيبان بن فروخ : « وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسري به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس » قال ابن كثير : وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية[٣٠]

وفي هذه القضايا الأربعة قال صديق خان : قد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة فمنهم من ذهب إلى أن الاسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه بعد البعث ، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل[٣١] .

خامسا : أن الاسراء والمعراج كانا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقبل الهجرة بحوالى سنة ، وقد رجح بعض العلماء أنهما كانا في ليلة السابع والعشرين من رجب ولكن ذلك لم يثبت ، قال الزهري : عُرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بسنة ، وقال ابن عبد البر وغيره . كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران ، وقد ذكر ابن حجر أكثر من عشرة أقوال في ذلك ونقلها عنه صديق خان[٣٢] وذكر ابن الديبع عشرين رأيا في هذا منها ستة آراء في

---

٢٩ ـ تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٤٩٠ وفتح الباري حـ ١ ص ٤٦٠ وحـ ٧ ص ١٩٧

٣٠ ـ السابق حـ ٣ ص ٤٦٦ وفتح الباري حـ ٧ ص ١٩٨

٣١ ـ عون الباري حـ ٥ ص ١٦٥ والسراج الوهاج حـ ١ ص ٣٠٦ وفتح الباري حـ ١ ص ٤٦٠ والبداية والنهاية حـ ٣ ص ١٢٦ ، وصحيح مسلم بشرح النووي حـ ٢ ص ٢٠٩ .

٣٢ ـ انظر : عون الباري حـ ٥ ص ١٦٩ وفتح الباري حـ ١ ص ٤٦٠ وحـ ٧ ص ١٩٧ .

تحديد السنة ، وستة أخرى في تحديد الشهر ، وأربعة في تحديد اليوم ، وأربعة في تحديد الليلة[٣٣] ، وقال ابن القيم في معرض حديثه عن التفاضل بين ليلة القدر وليلة الإسراء والمعراج : « هذا إذا كانت ليلة الإسراء تعرف عينها فكيف ولم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا عشرها ولا على عينها بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يقطع به ، ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره بخلاف ليلة القدر[٣٤] ، ثم قال في موضع آخر : والصواب الذي عليه أئمة النقل : أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة[٣٥] ، فتحصل من هذا أن بين العلماء خلافا في تحديد الزمن الذي وقع فيه الإسراء والمعراج من حيث السنة والشهر والليلة وعدد المرات ، ولكن الراجح من هذا الخلاف أنهما وقعا في ليلة واحدة مرة واحدة قبل الهجرة بحوالى سنة تزيد شهرا أو شهرين أو تنقص شهرا أو شهرين وهكذا ، ومن هذا يتبين أن ابن حزم قد بالغ حينما نقل الاجماع في هذا الأمر مما جعل ابن حجر يرده لما فيه من الاختلاف[٣٦] .

**سادسا** : رجح فريق من الصحابة وتبعهم كثير من العلماء أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج ، وعلى رأس هؤلاء ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وأبو هريرة رضي الله عنه والزهري ، ورجح فريق آخر إنكار ذلك وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومعاوية رضي الله عنه وغيرهما ، والأول هو الأرجح في نظر كثير من العماء ونحن معهم في ذلك ، قال ابن سيد الناس بعد أن ذكر جانبا من الخلاف : قال أبو القاسم : والمتحصل من هذه الأقوال أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يومىء قوله « رأيت نورا » قلت : وقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » لا يعارض هذا لأنه لا يلزم من الرؤية الإدراك[٣٧] . وقال الحلبي : واختلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى تلك الليلة ، فأكثر العلماء على وقوع ذلك . . . ثم سرد الخلاف في ذلك وفي نهايته قال : صحت الأحاديث عن ابن عباس رضي الله عنهما في إثبات الرؤية وحينئذ يجب المصير إلى إثباتها

---

٣٣ ـ انظر لحدائق الأنوار حـ ١ ص ٣٨١ وهامشها .

٣٤ ـ زاد المعاد حـ ١ ص ١١

٣٥ ـ السابق حـ ٢ ص ٤٩ .

٣٦ ـ عون الباري حـ ٥ ص ١٦٩

٣٧ ـ عيون الأثر حـ ١ ص ١٩٥

ولا يجترىء أحد أن يظن في ابن عباس أن يتكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد ، قال الإمام النووي : والراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم ، وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغى أن يتشكك فيه[٣٨] .

سابعا : أثبتت الأحاديث أن الصلاة فرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته في ليلة الإسراء والمعراج ، ويجب أن نعلم أن المقصود من ذلك هو الصلوات الخمس بركعاتها المعروفة ، أما أصل فرض الصلاة فكان قبل ذلك من أول البعثة ركعتان في الغداة وركعتان في العشي وقيام الليل ثم نسخ ذلك بفرض الصلوات الخمس ليلة المعراج ، وقد نزل جبريل في صبيحتها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي « الصلاة جامعة » فصلى بهم بصلاة جبريل عليه السلام بالأعداد الجديدة والمواقيت الجديدة وقد قيل إن الصلوات الخمس فرضت ركعتين ركعتين ثم أقرت في السفر وزيدت في الحضر إلى ما هي عليه من أربع وثلاث ، وقيل : انها فرضت كما هي في الحضر ، ثم رخص الله بالقصر في الخوف والسفر ، قال ابن حجر : والذي يظهر لي وبه تجتمع الأدلة السابقة أن الصلوات فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب ثم زيدت بعد الهجرة عقب الهجرة إلا الصبح . . ثم قال « ذهب جماعة إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما كان وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد ، وذهب الحربي إلى أن الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وذكر الشافعي عن بعض أهل العلم أن صلاة الليل كانت مفروضة ثم نسخت بقوله تعالى « فاقرءوا ما تيسر منه » فصار الفرض قيام بعض الليل ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس[٣٩] .

ثامنا : أشار القرآن الكريم إلى الغاية من الإسراء والمعراج في قوله تعالى « لنريه من آياتنا » وقوله « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » وقد اجتهد العلماء في تفصيل وتوضيح ما أجمله القرآن الكريم في هاتين الجملتين فقال الطبري : « وقوله « لنريه من آياتنا » يقول تعالى ذكره : كي نرى عبدنا محمدا من آياتنا يقول من عبرنا وأدلتنا وحججنا ، وذلك ما قد ذكرت في الأخبار التي رويتها آنفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أريه في طريقه الى بيت المقدس ، وبعد مصيره إليه من عجائب العبر والمواعظ[٤٠] .

---

٣٨ ـ السيرة الحلبية حـ ١ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ وصحيح مسلم بشرح النووي حـ ٣ ص ٥

٣٩ ـ فتح الباري حـ ١ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥

٤٠ ـ جامع البيان في تفسير القرآن حـ ١٥ ص ١٤

وقال الرازي : « ما ذكره الله تعالى » وهو قوله « لنريه من آياتنا » هذا كلام مجمل وفي تفصيله وشرحه وجوه :

**الأول : أن خيرات الجنة عظيمة وأهوال النار شديدة ، فلو أنه عليه الصلاة والسلام ما شاهدهما في الدنيا ثم شاهدهما في ابتداء يوم القيامة فربما رغب في خيرات الجنة أو خاف من أهوال النار ، أما لما شاهدهما في الدنيا في ليلة المعراج ، فحينئذ لا يعظم وقعهما في قلبه يوم القيامة فلا يبقى مشغول القلب بهما ، وحينئذ يتفرغ للشفاعة .**

**الثاني** : لا يمتنع أن تكون مشاهدته ليلة المعراج للانبياء والملائكة صارت سببا لتكامل مصلحته أو مصلحتهم .

**الثالث** : أنه لا يبعد أنه إذا صعد الفلك وشاهد أحوال السموات والكرسي والعرش صارت مشاهدة أحوال هذا العالم وأهواله حقيرة في عينه ، فتحصل له زيادة قوة في القلب باعتبارها ، يكون في شروعه في الدعوة إلى الله تعالى أكمل وقلة التفاته إلى أعداء الله تعالى أقوى ، يبين ذلك أن من عاين قدرة الله تعالى في هذا الباب لا يكون حاله في قوة النفس وثبات القلب على احتمال المكاره في الجهاد وغيره إلا أضعاف ما يكون عليه حال من لم يعاين[٤١] .

فتحصل من ذلك أن الغاية من الإسراء والمعراج كانت لاطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على نماذج من آيات الله الكبرى في ملكوت السموات والأرض ليكون ذلك تثبيتا له في دعوته وتأييدا له في رسالته وحجة له على أعدائه وقوة له ولأنصاره وتفريغا لقلبه من المشاغل ، وملئا له بالحكمة والعبرة ، وتعظيما لعالم الآخرة على عالم الدنيا وتبادلا للمصلحة بينه وبين انبياء الله تعالى وملائكته .

وفي هذا كله من التسلية والمواساة للنبي صلى الله عليه وسلم ما فيه ، قال الشيخ أبو زهرة وغيره : كان الإسراء و المعراج تسلية ومواساة للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له بعد تلك المصاعب التي تعرض لها في سبيل الدعوة من مشركي مكة ثم مشركي الطائف ، وما لقيه من المتاعب بعد موت حبيبيه خديجة رضي الله عنها وأبي طالب[٤٢] .

**تاسعا** : كان الإسراء من مكة إلى بيت المقدس وليس إلى غيره من الأماكن للإشارة الى ارتباط القبلتين واتصال الأنبياء واجتماعهم على رسالة الله ودينه الإسلام ، وتعاونهم في إتمام بنائه

---

٤١ ـ مفاتيح الغيب حـ ١٩ ص ١٥٢

٤٢ ـ خاتم النبيين حـ ١ ص ٥٦٢ والسيرة النبوية للنووي ص ١٦٧ وفقه السيرة ص ١٤٢ .

وقيادة محمد صلى الله عليه وسلم لهذا الإتمام ، كما فيه الإشارة إلى انتشار الإسلام إلى المشارق والمغارب وعموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين وقيادته للأنبياء والمرسلين وفي هذا يقول الندوي : « أعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأن الإسراء و المعراج وهما الإسراء والنجم أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبي القبلتين وإمام المشرقين والمغربين ، ووارث الأنبياء قبله وإمام الأجيال بعده فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس والبيت الحرام بالمسجد الأقصى ، وصلى الأنبياء خلفه فكان هذا ايذانا بعموم رسالته وخلود امامته وإنسانية تعاليمه وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان[٤٣] » . ويفصل الشيخ محمد الغزالي ما بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومكة وبيت المقدس من إيحاءات وأسرار فيقول « لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ؟ ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة ؟ إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم ، فقد ظلت النبوات دهورا طوالا وهي وقف على بني إسرائيل ، وظل بيت المقدس مهبط الوحي فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء حلت بهم لعنة الله وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد ، ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم انتقالا بالقيادة الروحية في العالم ، فكان من وصل الحاضر بالماضي وإدماج الكل في حقيقة واحدة أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين في الإسلام وأن ينتقل إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في إسرائه . . . ثم يجمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية في هذه الأرض وما حولها ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة ليعلم الناس أن النبوات يصدق بعضها بعضا ويمهد السابق منها للاحق وتكون إمامته صلى الله عليه وسلم لهم وصلاته بهم إقرارا مبينا بأن الاسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه ، أخذت تمامها على يد محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين »[٤٤] .

تلك هي الحقائق التي اتفق العلماء على معظمها ، واختلفوا في بعضها فأخذنا الراجح منها معتمدين في ذلك كله على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وترجيحات جماهير العلماء .

**ثالثا : شبهات مرفوضة وآراء مرجوحة**

والآن مع بعض الشبهات التي أثيرت في الماضي وما زالت تثار في الحاضر بأسلوب وشكل جديدين ومن هذه الشبهات ما يتصل أو يدور حول إمكانية وقوع هذه المعجزة وعدم

---

٤٣ ـ السيرة النبوية للنووي ص ١٦٩

٤٤ ـ فقه السيرة ص ١٤١ ـ ١٤٢

امكانيتها ، ومنها ما يقر بالوقوع ولكن يثير الشبهات حول كيفية وقوعها ، أو حول بعض وقائعها ومشاهدها . وقد رأيت من تمام الفائدة أن نقف مع هذه الشبهات لتفنيدها وبيان زيفها .

**أولا : إنكار وقوع الإسراء والمعراج**

أنكر المشركون من أهل مكة ، وبعض المسلمين الضعفاء في الإيمان وقوع الإسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتضح ذلك من تكذيبهم له وارتداد بعض المسلمين حين حدثهم النبي صلى الله عليه وسلم بما وقع له ، ومازال ينكر ذلك الكافرون وأعداء الإسلام وبعض المنتمين إلى الإسلام . فبماذا نرد على هؤلاء ؟

لقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونة ربه عز وجل على هؤلاء وأولئك وأفحمهم بالأدلة الصحيحة والوقائع الثابتة التي لا ينكرها إلا من ينكر الشمس في وضح النهار ، فقد ثبت في السنة الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حدث الناس بخبر الإسراء والمعراج كذبوه وتعجبوا من أمره وطلبوا منه وصف بيت المقدس وذكر عيرهم[٤٥] وعددها وموعد وصولها . فوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ولم يكن قد أتاه قبل الإسراء وتحدث عن عيرهم المقبلة والمدبرة وأوصافها وموعد وصولها ونحو ذلك ، وقد ورد ذلك في السنة الصحيحة فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما كان ليلة اسرى بي فأصبحت بمكة فظعت[٤٦] وعرفت أن الناس مكذبي ، فقعدت معتزلا حزينا فمر به أبو جهل فجاء حتى جلس إليه ، فقال له كالمستهزىء : هل كان من شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال : وما هو ؟ قال : إني أسري بي الليلة . قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، قال : فلم ير أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه إليه ، فقال : أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال : يا معشر بني كعب بن لؤي ! قال : فانفضت[٤٧] إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما ، قال : حدث قومك بما حدثتني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أسري بي الليلة » فقالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس . قالوا : ثم

---

٤٥ ـ قوافل التجارة

٤٦ ـ فظعت : استعظمت ذلك وهالني

٤٧ ـ انتقل الناس إليه .

أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، فمن بين مصفق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب ، قالوا : وتستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت ، قال : فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعته وأنا أنظر إليه ، قال : وكان مع هذا نعت لم أحفظه ، قال : فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب فيه » وأخرجه النسائي ورواه البيهقي[٤٨] وفي رواية أم هانيء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر أنه التقى بالانبياء وصلى بهم ووصفهم لهم قال المطعم بن عدي « كل أمرك قبل اليوم كان أمما[٤٩] غير قولك اليوم ، أشهد أنك كاذب ، نحن نضرب أكباد الابل إلى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا[٥٠] تزعم أنك أتيته في ليلة ، واللات والعزى لا أصدقك ، وما كان هذا الذي تقول قط ، فقال أبوبكر رضي الله عنه : يامطعم بئس ما قلت لابن أخيك ، جبهته وكذبته ، أنا أشهد أنه صادق ، ثم طلب منه أبوبكر وصف بيت المقدس ليلجم القوم الحجة ، فأخذ يصفه وأبوبكر يقول : صدقت ، قالت نبعة جارية أم هانيء : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : يا أبابكر إن الله عز وجل قد سماك الصديق ، قالوا يا مطعم : دعنا نسأله عما هو أغنى لنا من بيت المقدس ، يا محمد أخبرنا عن عيرنا ، فقال : أتيت على عير بني فلان بالروحاء قد أضلوا ناقة لهم وانطلقوا في طلبها فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد ، وإذا قدح ماء فشربت منه فسلوهم عن ذلك ، فقالوا : واللات والعزى هذه آية ، ثم انتهيت إلى عير بني فلان فنفرت مني الإبل وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق[٥١] مخطط ببياض ، لا أدري أكسر البعير أم لا ؟ فاسألوهم عن ذلك فقالوا : هذه والإله آية ، ثم انتهيت إلى عير بني فلان بالأبواء يقدمها جمل أورق[٥٢] ها هي تطلع عليكم من الثنية ، فقال الوليد بن المغيرة : ساحر ، فانطلقوا فنظروا فوجدوا كما قال ، فرموه بالسحر ، وقالوا صدق الوليد بالمغيرة[٥٣] . . » . وهكذا استطاع رسول الله صلى الله عليه

---

٤٨ ـ تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٤٨١ وانظر : فتح الباري حـ ٧ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠

٤٩ ـ مقبولا

٥٠ ـ مصعدا ومنحدرا : ذهابا وايابا

٥١ ـ وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما كالفرارة وهي « الشوال » .

٥٢ ـ ما كان لونه رماديا أو في لونه بياض إلى سواد .

٥٣ ـ السيرة النبوية لابن سيد الناس حـ ١ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

وسلم بمعونة من ربه تبارك وتعالى أن يلجمهم الحجة ويفحمهم بما قدم لهم من آيات عملية تدل على صدقه فيما أخبر عنه من الإسراء ، وعلى رأس هذه الآيات : وصف بيت المقدس بكل مشتملاته ما وعى منه وما ألهمه الله به حين غاب عنه بعض وصفه ، ثم ذكر ما مر به من قوافل قريش التجارية ، وما كان له من كل قافلة من آية كالبعير الذي ضل عن القافلة ، والماء الذي شربه ، والقافلة التي نفرت بعض إبلها حتى كسر أحدهم وبرك وعليه جوالق صفتها كذا وكذا ، والقافلة التي يتقدمها الجمل الأورق وهي على مشارف مكة فذهبوا إليها ووجدوها كما قال ومع هذا كله وصفوه بالسحر وأنكروا تلك الآيات .

وصدق الشيخ محمد الغزالي في قوله عن المكذبين : « والذين كذبوا أن يقع وحي على الأرض أتراهم يصدقون به في السماء؟ »[٥٤] . ولم يصدق خبر الاسراء والمعراج إلا قلة من المؤمنين على رأسهم أبوبكر رضي الله عنه الذي قال قولته المشهورة « والله لئن كان قد قاله لقد صدق ، إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من الله في ساعة من ليل أو نهار فأصدق فهذا أبعد فما تعجبون منه »[٥٥] . وبهذا استحق أن يلقبه الله عز وجل بالصديق . وبهذه الآيات التي أيد الله تعالى بها رسوله صلى الله عليه وسلم أمام المنكرين والمكذبين لم يعد هناك حجة لمعترض أو مكذب لما وقع ولم يعد إلا الجحود والاستكبار الذي هو ديدن المشركين وأعداء الاسلام في الماضي والحاضر وصدق الله العظيم « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا»[٥٦] .

**ثانيا : إنكار وقوع الإسراء والمعراج بالجسد :**

أنكر بعض العلماء في الماضي والحاضر أن يكون الاسراء والمعراج بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انقسموا فقال بعضهم : إنه كان بالروح في اليقظة ، وقال آخرون : إنه كان مناما ، واستدلوا لذلك بعدة أدلة منها :

١ ـ قوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » حيث فسروا الرؤيا على أنها قلبية ، فهي غير الرؤية البصرية ثم أيدوا هذا التفسير بقوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى » وهي رؤيا حقيقية وصادقة كالرؤية البصرية لأن رؤيا الأنبياء وحى كرؤيا إبراهيم ذبح اسماعيل عليهما السلام ، وهم ينامون بأعينهم ولا تنام قلوبهم .

٢ ـ ما روي عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كالذي روي عن عائشة رضي الله عنها أنها

---

٥٤ ـ فقه السيرة ص ١٤٨

٥٥ ـ تفسير الطبري حـ ١٥ ، ص ٥

٥٦ ـ النمل ١٤ .

كانت تقول « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه »[٥٧] .
وما روي عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من أنه كان اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كانت رؤيا من الله صادقة »[٥٨] وهناك فريق آخر من العلماء قال إن الإسراء كان بالجسد والمعراج كان بالروح ، قال ابن القيم : « وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناما وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسري بها وعرج بها حقيقة وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها إلى السموات سماء سماء حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فتقف بين يدي الله عز وجل فيأمر فيها بما يشاء ثم تنزل إلى الأرض ، فالذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ، ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم ، لكن لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام خرق العوائد حتى شق بطنه وهي حي لا يتألم بذلك عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة ، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة ، فالانبياء إنما استقرت أرواحهم هناك بعد مفارقة الأبدان ، وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم صعدت إلى هناك في حال الحياة ثم عادت ، وبعد وفاته استقرت في الرفيق الأعلى مع أرواح الأنبياء ومع هذا فلها إشراف على البدن وتعلق به بحيث يرد السلام على من سلم عليه ، ويضيف ابن القيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير من الأنبياء في السماء إلا أرواحهم فيقول « وبهذا التعلق رأى موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة ، ومعلوم أنه لم يعرج بموسى من قبره ثم رد إليه وإنما ذلك مقام روحه واستقرارها ، وقبره مقام بدنه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح إلى أجسادها ، كما أنه صلى الله عليه وسلم في أرفع مكان في الرفيق الأعلى مستقرا هناك وبدنه في ضريحه غير مفقود وإذا سلم عليه المسلم رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ولم يفارق الملأ الأعلى . ثم ذهب يؤكد ذلك بمعنى آخر فقال : « ومن كثف إدراكه وغلظت طباعه عن إدراك هذا فلينظر إلى الشمس في علو محلها وتعلقها وتأثيرها في الأرض وحياة النبات والحيوان بها هذا وشأن الروح فوق هذا فلها شأن وللأبدان شأن ، وهذه النار تكون في محلها وحرارتها تؤثر في الجسم البعيد عنها مع أن الارتباط والتعلق الذي بين الروح والبدن أقوى وأكمل من ذلك وأتم فشأن الروح أعلى من ذلك وألطف[٥٩] » .

---

٥٧ ـ تفسير الطبري حـ ١٥ ص ١٣ .
٥٨ ـ السابق وابن كثير حـ ٣ ص ٤٩١
٥٩ ـ زاد المعاد حـ ٢ ص ٤٩

وهكذا يبين ابن القيم أنه مع القائلين بأن المعراج كان بروح النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن بجسده ، كما لم يكن مناما ، ويبين أن فرقا كبيرا بين المعراج بالروح الذي يعتبر حقيقة وبين المعراج في النوم الذي يعتبر تصويرا وتمثيلا ، كما يبين أن انفصال الروح عن الجسد وانتقالها إلى الملأ الأعلى أمر واقع لكل الناس عند الوفاة ولكنه بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومن باب خرق العادة وقع له في حياته في هذا المعراج ، وواقع بعد وفاته كلما سلم عليه مسلم ، ثم ساق بعض الشواهد التي يؤيد بها رأيه .

وكما كان لهذا الرأي أنصار في الماضي فقد كان له أنصار في الحاضر فمن هؤلاء الدكتور محمد حسين هيكل فقد رجح أن يكون الإسراء والمعراج بالروح فقال « ففي الاسراء والمعراج في حياة محمد الروحية معنى سام غاية السمو ، معنى أكبر من هذا الذي يصورون ، والذي قد يشوب بعضه من خيال المتكلمة الخصب حظ غير قليل . فهذا الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها ، لم يقف أمام ذهن محمد صلى الله عليه وسلم وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبيا محدودا بحدود قوانا المحسة والمدبرة والعاقلة ، تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد صلى الله عليه وسلم واجتمع الكون كله في روحه ، فوعاه منذ أزله إلى أبده وصوره في تطور وحدته إلى الكمال عن طريق الخير والفضل والجمال والحق في فعاليتها وتغلبها على الشر والنقص والقبح والباطل بفضل من الله ومغفرة ، وليس يستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الانسانية ، فاذا جاء بعد ذلك ممن اتبعوا محمدا ممن عجز عن متابعته في سمو فكرته وقوة احاطته بوحدة الكون في كماله وفي جهاده لبلوغ هذا الكمال ، فلا عجب في ذلك ولا عيب فيه ، والممتازون من الناس والموهوبون منهم درجات ، وبلوغنا الحقيقة معرض دائما لهذه الحدود التي تعجز قوانا عن تخطيها[٦٠] » .

وكأني بالدكتور هيكل يريد أن يجعل الاسراء والمعراج حالة من حالات الإشراق الروحي والصفاء الفكري والنفسي الذي تزول فيه الحجب ، وتزول فيه الحواجز حتى يطلع صاحبه على الماضي والمستقبل والقريب والبعيد ، فهو أشبه برأي بعض الصوفية في القول بالفيض والإشراق ، ورأى بعض الفلاسفة في القول بوحدة الوجود ، وهذا غير الذي قاله العلماء وصوره ابن القيم في كلامه السابق ، فبينما ينص ابن القيم على قيام روح النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الرحلة قياما حقيقيا وتنقلها تنقلا تاما بين السموات والأرض واطلاعها اطلاعا

---

٦٠ ـ حياة محمد ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

حقيقيا على المشاهد والمرائي ، وذلك امر خارق للعادة لأنه لم يقع لأحد غير النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يقع لجميع الخلائق بالموت ، نجد الدكتور هيكل يعتبر ذلك نوعا من الشفافية الخاصة التي استجمعت فيها الروح الزمان والمكان دون أن تفارق الجسد وتتنقل انتقالا حقيقيا بين المرائي والأماكن المتباعدة ، ولهذا استغرب فضيلة الشيخ محمد الغزالي هذا الرأي وعلق عليه بقوله « وللدكتور هيكل رأي غريب فقد اعتبره ـ الاسراء والمعراج ـ استجماعا ذهنيا ونفسيا لوحدة الوجود من الأزل إلى الأبد في فترة من فترات التألق النفسي الفذ الذي اختص به بشر نقي جليل مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي إبان هذا التألق الذي استعلى به على كل شيء استعرض حقائق الدين والدنيا وشاهد صور الثواب والعقاب . . . الخ »[٦١] . ومن هنا نعلم أن رأي الدكتور هيكل في الاسراء والمعراج وكيفية وقوعه مخالف لآراء السابقين ، ولذلك كان يرى ان رأيه هذا لم يسبق إليه غالبا فقد قال « وهذا موضع الرأي الذي نريد أن نبديه ولا ندري أسبقنا إليه أم لم نسبق ؟[٦٢] . ولو كان رأيه موافقا للقائلين بوقوعهما بالروح أو المنام لما قال ذلك .

٣ ـ هذا وقد استبعد القائلون بهذا الرأي ـ الروح لا الجسد ـ انتقال الجسم وخرق الفلك والصعود من مركز العالم إلى ما فوق العرش . . . ونحو ذلك .

وقد تولى أصحاب الرأي الآخر ـ القوى الصحيح القائل بان الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معا ـ الرد على هذه الأدلة والشبهات ومنهم من أجمل الردود ومنهم من فصلها وستقدم لك نموذجا من كل نوع .

فممن أجمل الرد كل من الطبري وابن كثير ، فقال الطبري بعد أن عرض آراء الفريقين : « والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حمله على البراق حتى أتاه به وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات ، ولا معنى لقول من قال : أسرى بروحه دون جسده لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوته ولا حجة له على رسالته[٦٣] ، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك كانوا يدفعون به عن صدقه

---

٦١ ـ فقه السيرة ص ١٤٠

٦٢ ـ حياة محمد ص ١٩٣ .

٦٣ ـ أي لم يكن معجزة .

فيه ، إذ لم يكن منكرا عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل ؟ وبعد ، فان الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قاله الله إلى غيره . . . ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله « أسرى بعبده » أسرى بروح عبده ، بل الأدلة الواضحة والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أسرى به على دابة يقال لها البراق ، ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق ، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام إلا أن يقول قائل : إن معنى قولنا أسرى بروحه : رأى في المنام أنه أسرى بجسده على البراق ، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل حمله على البراق لأن ذلك اذا كان مناما على قول قائل هذا القول ولم تكن الروح عنده مما تركب على الدواب ، ولم يحمل على البراق جسم النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على قوله حمل على البراق لا جسمه ولا شيء منه وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين ، وذلك دفع لظاهر التنزيل ، وما تتابعت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين »[٦٤] .

واذا كان الطبري يتحدث هنا عن الاسراء لأنه يفسر آية الاسراء فإنه يقصد المعراج أيضا يتضح ذلك من تفسيره لآيات سورة النجم التي تتحدث عن المعراج ، وهو هناك يغلب الإسراء على المعراج على أساس أن القرآن لم يستخدم هذا اللفظ ولكن يفهم من كلامه ومن استناده إلى الأخبار الصحيحة التي أوردها أنه يريد الاسراء والمعراج معا بالروح والجسد[٦٥] .

وهكذا رفع الطبري شبهات القائلين بان الإسراء والمعراج كانا بالروح بخمسة أدلة .

١ ـ أنه لو كانا بالروح لم يكن فيهما دليل على نبوته ولا حجة على رسالته .

٢ ـ أنه لو كانا بالروح لم ينكرهما المشركون وغيرهم لأن أحدا لا ينكر الرؤيا المنامية مهما بعدت مسافاتها .

٣ ـ أن الله تعالى أخبر أنه أسرى بعبده وذلك يضم الروح والجسد حيث لا دليل على ان المراد الروح فقط ، ولو كانت مرادة وحدها لأخبر بذلك .

٤ ـ أن الروح لا تحمل على البراق الذي أخبرت به الأحاديث الصحيحة .

---

٦٤ ـ تفسير الطبري حـ ١٥ ص ١٦ ـ ١٧ وانظر أيضا بها من الطبري تفسير غرائب القرآن للنيسابوري حـ ١٥ ، ص ٥

٦٥ ـ انظر : تفسير الطبري حـ ٢٧ ص ٤٠ ـ ٥٧

٥ ـ أن القول بالروح يجر إلى المنام الذي يترتب عليه تكذيب ماتتابعت به الأخبار والآثار فضلا عن رفع ظاهر التنزيل بلا مبرر . وأضاف ابن كثير إلى هذه الأدلة مايلي :

٦ ـ أن الله صدر الآية الكريمة ـ آية سورة الاسراء ـ بالتسبيح وهو انما يكون عند الامور العظام ، فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظما ، ولما بادرت قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن اسلم

٧ ـ أن ابن عباس قال في قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم رواه البخاري[٦٦] .

٨ ـ أن الله تعالى قال « ما زاغ البصر وما طغى » والبصر من آلات الذات لا الروح ؛ قال ابن كثير والخلاف في المسألة مشهور بين السلف والخلف[٦٧] والله أعلم . وأضاف الحلبي[٦٨] .

٩ ـ ان الله تعالى قال : « أسرى بعبده » والعبد هو حقيقة الروح والجسد ، قال تعالى « أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ »[٦٩] وقال : « وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ »[٧٠]

وقد فصل الفخر الرازي تلك الردود وأحسن في ذلك حيث أورد شبهات القائلين بأن الإسراء والمعراج كانا بالروح وأخذ يفندها واحدة تلو الأخرى بما لم يسبق إليه ولم يلحق فيه فقال « بتصرف » واعلم أن الكلام في هذا الباب يقع في مقامين : أحدهما : في اثبات الجواز العقلي ، والثاني في الوقوع : .

أما المقام الأول وهو اثبات الجواز العقلي فنقول : الحركة الواقعة في السرعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها ويدل عليه وجوه .

**الوجه الأول** : أن الفلك الأعظم يتحرك في أول الليل الى آخره ما يقرب من نصف الدور ، وقد ثبت في الهندسة أن نسبة القطر الواحد إلى الدور نسبة الواحد الى ثلاثة وسبع فيلزم أن تكون نسبة نصف القطر الى نصف الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع وبتقدير أن يقال : إن رسول

---

٦٦ ـ صحيح البخاري كتاب المناقب باب المعراج .

٦٧ ـ تفسير ابن كثير حـ ٣ ص ٤٩١ ، والبداية والنهاية حـ ٣ ص ١٢٣

٦٨ ـ السيرة الحلبية حـ ١ ص ٤١١

٦٩ ـ العلق ٩ ، ١٠

٧٠ ـ الجن ١٩

الله صلى الله عليه وسلم ارتفع من مكة إلى ما فوق الفلك الأعظم فهو لم يتحرك إلا بمقدار نصف القطر ، فلما حصل في ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور فكان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالامكان ، فهذا برهان قاطع على أن الارتقاء من مكة الى ما فوق العرش في مقدار ثلث من الليل أمر ممكن في نفسه ، واذا كان كذلك كان حصوله في كل الليل أولى بالامكان .

**الوجه الثاني** : وهو أنه ثبت في الهندسة أن قرص الشمس يساوي كرة الارض مائة وستين وكذا مرة ، ثم إنا نشاهد أن طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع وذلك يدل على أن بلوغ الحركة في السرعة إلى الحد المذكور أمر ممكن في نفسه .

**الوجه الثالث** : أنه كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم إلى ما فوق العرش ، فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش إلى مركز العالم ، فإن كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في الليلة الواحدة ممتنعا في العقول كان القول بنزول جبريل عليه الصلاة والسلام من العرش الى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعا ، ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا في نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والقول بثبوت المعراج فرع على تسليم جواز أصل النبوة ، فثبت أن القائلين بامتناع حصول حركة سريعة إلى هذا الحد ، يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل عليه الصلاة والسلام في اللحظة من العرش الى مكة ، ولما كان ذلك باطلا كان ما ذكروه باطلا أيضا » ثم دخل معهم في حوار حول مفهوم الملك ونزوله وانتهى الى أن نزول جبريل كصعود النبي صلى الله عليه وسلم مستندا إلى قول أبي بكر « إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في الخبر يأتيه من السماء » فكأنه قال : لما سلمت رسالته فقد صدقته فيما هو أعظم من هذا فكيف اكذبه في هذا ؟

**الوجه الرابع** : وجود إبليس وانتقاله من المشرق إلى المغرب وإلقاء الوساوس في قلوب بني آدم ، فالتسليم بهذا الانتقال والحركة السريعة في حق إبليس أولى منه التسليم به في حق الأنبياء .

**الوجه الخامس** : أنه جاء في القرآن الكريم أن الرياح كانت تسير بسليمان عليه الصلاة والسلام إلى المواضع البعيدة في الأوقات القليلة ، كما قال تعالى : « غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ »[٧١]

**الوجه السادس** : أن القرآن أخبر أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من

---

٧١ ـ سبأ : ١٢ .

أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر « قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ »(٧٢) .

**الوجه السابع : حركة الابصار نفسها تتم بشعاع ينتقل الى المبصر أو منه في نفس لحظة فتح العين ونظرها . . .**

**المقدمة الثانية : في بيان أن هذه الحركة لما كانت ممكنة الوجود في نفسها وجب أن لا يكون حصولها في جسد محمد صلى الله عليه وسلم ممتنعا لأن الاجسام متماثلة .**

**واذا ثبت هذا فنقول : ثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات وثبت أن حصول الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد في جسد محمد صلى الله عليه وسلم ممكن ، فوجب كونه تعالى قادرا عليه ، وحينئذ يلزم من مجموع هذه المقدمات أن القول بثبوت هذا المعراج أمر ممكن الوجود في نفسه ، أقصى ما في الباب أن يبقى التعجب إلا أن هذا التعجب غير مخصوص بهذا المقام ، بل هو حاصل في جميع المعجزات . . . . . فان كان مجرد التعجب يوجب الإنكار والدفع لزم الجزم بفساد القول بإثبات المعجزات ، وإثبات المعجزات فرع على تسليم أصل النبوة ، وإن كان مجرد التعجب لا يوجب الإنكار والابطال فكذا ههنا(٧٣) .**

**فانظر كيف أثبت الرازي أولا إمكانية انتقال الأجساد بين الأفلاك ومنها أثبت إمكانية المعراج بالجسد ، ثم اثبت قدرة الله تعالى على كل الممكنات ، ومنها الانتقال بهذه الحركة السريعة بجسد محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين أن التعجب من ذلك أمر طبيعي لأنه مصاحب لكل المعجزات ، وليس المعراج فحسب ، فإما ان نثبته كسائر المعجزات ، أو نبطله وننكره فيلزم إبطال جميع المعجزات ، ولا يقول بذلك أحد لأن إثباتها فرع على التسليم بأصل النبوة ، ثم انتقل إلى المقام الثاني وهو البحث في وقوع المعراج بالجسد والروح واستدل له بمثل ما سبق مع ردود عديدة على الشبهات المقولة أو المحتملة(٧٤) في موضع « هل العبد هو الجسد والروح أو الروح فقط »؟ .**

ثم قال في الرد على ما استدلوا به من قوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » القول الرابع وهو الأصح وهو قول أكثر المفسرين : إن المراد بها ما أراه الله تعالى ليلة

---

٧٢ ـ النمل ٤٠

٧٣ ـ مفاتيح الغيب حـ ١٩ ص ١٤٧ وتفسير غرائب القرآن بهامش الطبري حـ ١٥ ص ٥ ـ ٧ .

٧٤ ـ السابق حـ ١٩ ص ١٥٠ / ١٥٢ وتفسير غرائب القرآن حـ ١٥ ص ٥ ـ ٧

الاسراء ، واختلفوا في معنى هذه الرؤيا : فقال الأكثرون : لا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة ، يقال : رأيت بعيني رؤية ورؤيا ، وقال الأقلون : هذا يدل على أن قصة الاسراء إنما حصلت في المنام ، وهذا القول ضعيف باطل[٧٥] . .

وقد علق فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي على هذه القضية ورجح وجهة نظر القائلين بأن الاسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معا في هذه المرة التي ذكرها القرآن الكريم ، ولم يمنع أن يكون هناك إسراءات أخرى بالروح تهيئة لهذه المرة كما قال فريق من العلماء وأكد فضيلته أن قيمة الإعجاز لا يتحقق إلا اذا كان بالجسد ، وأن مقاييس القوة والحركة البشرية لا دخل لها في القدرة الإلهية والفعل الرباني ، ومما قال فضيلته[٧٦] : إن المسألة ليست حدثا من محمد صلى الله عليه وسلم ، . . . إذا فاستبعدوا قوانين بشريتكم ، استبعدوا قانون أرضيتكم ، وصعدوا هذه المسألة بالنسبة لله عز وجل نقول :

١ ـ يقدر الله سبحانه وتعالى على هذه المسألة أم لا يقدر ؟

٢ ـ قوته سبحانه وتعالى تحتاج إلى زمن . . أم لا تحتاج إلى زمن لهذه المسألة ؟

ولكي تعرفوا أن الحق سبحانه وتعالى قد هيأ لدين الاسلام جنودا حتى من الكافرين وذلك ليعاونوا محمدا صلى الله عليه وسلم على نصر دعوته . . كيف . . ؟

نقول : لو لم يقف كفار قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفهم هذا ليقولوا له : أتدعى أنك اتيتها في ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الابل شهرا . . ربما قال قائل بعد ذلك : لقد ظنوه مناما ، والمنام لا يمارى فيه ، والحكم عليه لا يمارى فيه أيضا ، فاذا رأيت اني قد ذهبت الى لندن هذه الليلة فلا يمكن أن يناقشني أحد لأن المسألة رؤية لا أكثر . اذا . . . ان موقفهم هذا الذي وقفوه قديما أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقولوا له : أتدعى أنك أتيتها في ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرا . . . هذا تأكيد على أنهم أدركوا أنها لم تكن لا مناما ولا روحا بل كانت يقظة بروحه وجسمه وإلا لما صدر هذا الاعتراض ثم قال عن الاستدلال بكلمة « الرؤيا » في الآية الكريمة .

إذا كانت رؤيا منامية فكيف تكون فتنة للناس ؟ ومعنى فتنة للناس أن بعضهم يصدق وبعضهم يكذب ، ولو كانت رؤيا منامية فلا يمكن أن يناقشها احد لا تصديقا ولا تكذيبا . . . ثم قال وكلمة الرؤيا تستخدم في الرؤية البصرية والمنامية ، ولكن عادة

---

٧٥ ـ مفاتيح الغيب حـ ٢٠ ص ٢٣٦

٧٦ ـ الإسراء والمعراج ص ٢٧ ـ ٢٩ بتصرف .

يستعملون كلمة « الرؤيا » في البصرية في الاشياء الغريبة العجيبة كأنها من الاشياء التي لا تحصل إلا مناما . . . ويقول : إن الله سبحانه يقول « سبحان الذي أسرى » اي إن الذي اسرى هو الله سبحانه وتعالى . . . إذا فالفعل واقع من الله سبحانه وتعالى . . فلا يصح أن نؤاخذ محمدا صلى الله عليه وسلم بفعل فعله الله سبحانه وتعالى به . . وما دام الله تعالى قد فعل فلماذا نستعجب على محمد أن يقول ؟؟

محمد لم يقل : « أنا سريت » حتى نرد محمدا الى قانون ونقول له كما قال الكفار نضرب إليها أكباد الابل شهرا ، وتدعى أنك أتيتها في ليلة ؟ من الذي قال : إنه أتاها ليلة بقدرته وحده ؟ لم يأتها وانما أتي به ، وأنتم تقولون : نضرب إليها أكباد الابل ، انتم تضربون أكبا دالابل فاذا كنتم صادقين في المقارنة والمفاضلة العقلية والتناقض العقلي عندكم ، وتريدون أن تستشكلوا عليه ، كان يجب أن تقارنوا فعلا منكم بفعل منه ، أما أن تقارنوا فعلا منكم بشيء لم يدع هو بأنه فعله فهذه استحالة في المناقشة . . . اذا . . . كان من الممكن أن يصعدوا المسألة في القياس ، يصعدونها إلى الله سبحانه وتعالي . . ولا يقولون له : كيف تدعى أنك أتيتها في ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الابل في خلال شهر . . . لأن محمدا صلى الله عليه وسلم قال : أنا لم أسر وإنما أسري بي . . . اذا . . إن محمدا صلى الله عليه وسلم محمول على نطاق قوة أخرى جبارة لا حساب لها . . إذا فالفعل من الله سبحانه وتعالى ، وحين يوجد الفعل من الله سبحانه وتعالى يجب أن يلغى قانون البشر . . . هنا قانون البشر غير موجود !! ؟ لأن كل فعل يختلف باختلاف فاعله ويختلف بقوة ذلك الفاعل وهكذا[٧٧] . .

ومن شبهات المنكرين وردود العلماء عليهم يتأكد ما سبق ان قلناه معتمدين على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة من وقوع الاسراء والمعراج بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة الى المدينة في اليقظة الكاملة بالروح والجسد معا حملا على البراق بصحبة جبريل وميكائيل من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم إلى سدرة المنتهى ، وأنه صلى الله عليه وسلم قد وصل إلى مكان يسمع فيه صريف الاقلام ثم فرضت عليه الصلوات الخمس ثم عاد وحدث القوم فمنهم من صدق ومنهم من كذبه رغم وضوح الحجة وقوة الدليل على صدقه سواء من وصف بيت المقدس بالتفصيل أو من ذكر علامات وأمارات لعيرهم وقوافلهم .

**ثالثا : إنكار رؤية الله تعالى .**

كنا في الفقرة السابقة مع فريق من الناس منهم من أنكر الإسراء والمعراج بالكلية ، ومنهم

---

٧٧ ـ الإسراء والمعراج ص ٢٣ / ٢٤

من أنكر وقوعها بالجسد ، ومنهم من اثبتها مناما ، وقد عرفنا شبهاتهم وفندناها ، ولم يبق أمامنا إلا موضوع الاسراء والمعراج يقظة بالروح والجسد . . . وفي هذه الفقرة نقف مع فريق آخر من العلماء يثبتون الاسراء والمعراج ويقرون بمعظم ما ورد فيه من مشاهد ومراء ولكنهم ينكرون رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه في هذه الليلة أو في غيرها لأن رؤية الله تعالى لا تقع لبشر في الدنيا ، وقد تبعوا في ذلك فريقا من الصحابة رضوان الله عليهم واستدلوا لذلك بما يلي :

١ ـ ما روي في صحيح مسلم وغيره عن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت : يا أبا عائشة ، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل « وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ »(٧٨) و « ولقد رآه نزلة اخرى » فقالت : أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطا من السماء ، سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الارض ، فقالت : أولم تسمع أن الله يقول : « لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ »(٧٩) أولم تسمع أن الله يقول : « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ »(٨٠) قالت : ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول « يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ »(٨١) قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول « قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ »(٨٢) .(٨٣)

فالسيدة عائشة رضي الله عنها تنفي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه ليلة

---

٧٨ ـ التكوير ٢٣

٧٩ ـ الأنعام ١٠٣

٨٠ ـ الشورى ٥١

٨١ ـ المائدة ٦٧

٨٢ ـ النحل ٦٥

٨٣ ـ صحيح مسلم كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل ولقدر رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء ، النووي حـ ٣ ص ٨ ـ ٩

الإسراء ، وحين يسألها مسروق عن بعض الآيات التي قد يفهم منها إثبات الرؤية كقوله تعالى « ولقد رآه بالافق المبين » تجيب بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن ذلك هو جبريل رآه النبي صل يالله عليه وسلم على صورته التي خلق عليها مرتين هما المذكورتان في هاتين الآيتين ، ثم أكدت نفيها للرؤية ببعض آيات القرآن الكريم التي تنفي رؤية أحد لله تعالى في الدنيا كقوله تعالى « لا تدركه الابصار » . . الخ . . ولكن كانت هناك رواية أو روايات عن صحابة آخرين كابن عباس رضي الله عنهما أثبتوا فيها رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء ، وقبل أن نرجح أحدى الروايتين أو الروايات نقدم اختلاف العلماء في هذا الامر وترجيحاتهم :

قال ابن القيم[٨٤] : واختلف الصحابة هل رأى ربه تلك الليلة أم لا ؟ فصح عن ابن عباس أنه رأى ربه ، وصح عنه أنه قال : رآه بفؤاده ، وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك ، وقالا : إن قوله « ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى » . . إنما هو جبريل ، وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أني أراه » أي حال بيني وبين رؤيته النور ، كما قال في لفظ آخر : « رأيت نورا »[٨٥] وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وليس قول ابن عباس أنه رآه مناقضا لهذا ولا قوله رآه بفؤاده ، وقد صح عنه أنه قال : رأيت ربي تبارك وتعالى ، ولكن لم يكن هذا في الإسراء ، ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه ، وعلى هذا بنى الامام أحمد رحمه الله تعالى وقال : نعم رآه حقا فان رؤيا الانبياء حق ولابد ، ولكن لم يقل أحمد رحمه الله إنه رآه بعيني رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه ، ولكن قال مرة رآه ،ومرة قال : رآه بفؤاده فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعضه اصحابه أنه رآه بعيني رأسه .

وقال ابن تيمية في موضع آخر : وأهل السنة متفقون على أن الله عز وجل لا يراه أحد بعينه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ، ولم يقع النزاع إلا في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أن أحاديث المعراج المعروفة ليس في شيء منها أنه رآه ، وإنما روي ذلك باسناد موضوع باتفاق أهل الحديث ، وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وأعلموا ان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت ، وقد سأله موسى الرؤية فمنعها » . .

---

٨٤ ـ زاد المعاد حـ ٢ ص ٤٨

٨٥ ـ تفسير ابن كثير حـ ٦ ص ٢٣ ـ ٢٤ والبداية والنهاية حـ ٣ ص ١٢٣

تلك وجهة نظر القائلين بإنكار رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء والمعراج رؤية عين ، وهي كما رأينا تقوم على عدة أدلة :

١ ـ قوله تعالى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » وقوله « وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب » وقوله لموسى عليه السلام « قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني » .

٢ ـ تفسير الآيات التي تثبت الرؤية من مثل قوله تعالى « ولقد رآه بالافق المبين » وقوله « ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى » وقوله « ما زاغ البصر وما طغى » بأن المقصود بالرؤية هو جبريل عليه السلام .

٣ ـ ما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها ومعاوية وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من نفى ذلك وأنه من أعظم أنواع الافتراء على الله ورسوله وما ذكره بعض العلماء من اتفاق الصحابة على نفى الرؤية .

٤ ـ ما روي عن الإمام أحمد وغيره وابن تيمية بأن إثبات الرؤية للفؤاد أو المنام وهي رؤيا حقيقية ولكنها ليست بعين الرأس لأن أهل السنة متفقون على نفي ذلك لأي إنسان في الدنيا . ثم أضافوا أن الأحاديث التي رويت بإثبات ذلك موضوعة .

فماذا قال المثبتون لها ؟ :

قال الحلبي[٨٦] : أكثر العلماء على وقوع ذلك ، أي أنه صلى الله عليه وسلم رآه عز وجل بعين رأسه ، وذهب ألى الرؤية المذكورة أكثر الصحابة وكثير من المحدثين والمتكلمين ، بل حكى بعض الحفاظ الإجماع على وقوع الرؤية له صلى الله عليه وسلم بعين رأسه ، وأجيب عما احتجت به عائشة رضي الله عنها من قوله تعالى « لا تدركه الابصار » بأنه لا يلزم من الرؤية الإدراك أي الذي هو الإحاطة ، فالنور الذي ورد في رواية أبي ذر « نور أني أراه » انما منع من الإحاطة به لا من اصل الرؤية ، وقد قال بعضهم للامام احمد : باي معنى تدفع قول عائشة رضي الله عنها : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله تعالى الفرية ؟ فقال : يدفع بقول النبي صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي ـ» وقوله صلى الله عليه وسلم أكبر من قولها ، قال بعضهم : قد صحت الاحاديث عن ابن عباس رضي الله عنهما في اثبات الرؤية ، وحينئذ يجب المصير الى إثباتها ، ولا يجترىء أحد أن يظن في ابن عباس أن يتكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد .

---

٨٦ ـ السيرة الحلبية حـ ١ ص ٤٠٨ ـ ٤٤١ وعيون الأثر حـ ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٦

قال الامام النووي[٨٧] : والراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه ، ثم استدلوا على ذلك بقوله تعالى « ما زاغ البصر وما طغى » لأن وصف البصر بعدم الإزاغة بقتضي أن ذلك يقظة ، ولو كانت الرؤية قلبية لقال : ما زاغ قلبه .

وقال ابن الدبيع[٨٨] : وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله : « ولقد رآه نزلة أخرى » أنه قال : رأى محمد ربه بعيني رأسه وكلمه من غير حجاب ، قال العلماء : ولا يقول ذلك ابن عباس إلا بتوقيف فسبيله سبيل المرفوع اذ ليس للرأي في هذا مدخل وقال ايضا[٨٩] : وقال كثير من العلماء في تفسير قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا » أي من غير واسطة ولا حجاب ، بل مع المشاهدة ، وذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم خاصة ليلة الاسراء ، قالوا بدليل قوله « أو من وراء حجاب » كمناجاته لموسى عليه السلام « أو يرسل رسولا » وهو جبريل فيوحى بإذنه مايشاء . . . الى رسله كأكثر أحوال محمد وموسى عليهما السلام وكسائر أحوال غيرهما من النبيين عليهم السلام أجمعين .

وقال : وقال الامام أبو الحسن الأشعري رحمه الله : كل آية أوتيها نبي فقد أوتي نبينا مثلها ، وخصه الله بالرؤية ، قال : محمد رأى ربه بعيني رأسه[٩٠] قال ابن عطاء : اي شرح الله صدره للرؤية كما شرح صدر موسى للتكليم ، قال العلماء : ولا يقدح في ذلك إنكار عائشة رضي الله عنها لانها لم تقله إلا عن رأيها ، وأما احتجاجها بقوله تعالى « لا تدركه الابصار » فقال ابن عباس معناه « لا تحيط به ، ولو قيل باطلاقها ـ اي منع الرؤية ـ لزم منه امتناع رؤيته سبحانه وتعالى في الآخرة أيضا للابرار في دار القرار وهو خلاف ماأجمع عليه أهل السنة .

قال العلماء : والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها اذ يستحيل أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ، ومعنى لن تراني : لن تطيق رؤيتي كما لا يطيق الجبل . . . ومن أهله الله لشيء تأهل له ، ومن لا فلا ، ألا تراه يقول في حقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند رؤية آيات ربه الكبرى « ما زاغ البصر وما طغى » ويقول : « لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا »[٩١] هذا وهم بشر من أبناء جنسه ، فسبحان من

---

٨٧ ـ صحيح مسلم بشرح النووي حـ ٣ ـ ص ٥

٨٨ ـ حدائق الانوار حـ ١ ص ٤٠٥ وانظر أيضا : زاد المسير حـ ٨ ، ص ٦٨ .

٨٩ ـ حدائق الأنوار حـ ١ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

٩٠ ـ القرطبي حـ ٧ ص ٥٦

٩١ ـ الكهف ١٨

خص من يشاء بما يشاء ، « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ »[٩٢] .

وهكذا يُبين ابن الديبع رأيه ورأي غيره من العلماء في اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه بعينى رأسه ليلة الإسراء والمعراج .

إذا : فالمثبتون للرؤية ، يحتجون بادلة منها :

١ ـ الآيات التي تثبتها كقوله تعالى « ولقد رآه نزله أخرى عند سدرة المنتهى » وقوله « ما زاغ البصر وماطغى » .

٢ ـ ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في إثبات ذلك وهو لا يقول إلا بتوقيف .

٣ ـ أن موسى عليه السلام طلبها ، ولو لم تكن جائزة لما طلبها حيث يستحيل أن يجهل موسى ما يجوز وما لا يجوز في حق الله تعالى .

٤ ـ أنها لو كانت مستحيلة في الدنيا لامتنع وقوعها في الآخرة ، وما دام قد ثبت وقوعها في الآخرة أمكن وقوعها في الدنيا .

٥ ـ انها خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان منزلته وفضله على سائر الانبياء .

٦ ـ أن الاثبات أولى من النفي فالمثبت مقدم على النافي كما يقول العلماء هذا وقد ردوا على أدلة النافين بماورد في عرض رأيهم ورواياتهم والواقع أن بحث الرؤية بحث شائك ، اختلف فيه الصحابة والعلماء اختلافا كبيرا مما جعل فريقا آخر من العلماء يفضل التوقف عن بحث هذا الأمر والإدلاء فيه برأي لأن الأدلة فيه تكاد تكون متساوية في الاثبات والنفي ، كما أنها في نظرهم ليست من الأمور الاعتقادية ، فقد نقل القرطبي عن جماعة من المحققين القول بالوقف في هذه المسألة لأنه لا دليل قاطع ، وغاية ما استدل به الفريقان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل ، وهو من المعتقدات فلابد فيها من الدليل القطعي ، ونازعه السبكي فقال : انه ليس من المعتقدات التي يشترط فيها الدليل القطعي وهي التي نكلف باعتقادها كالحشر والنشر بل من المعتقدات التي يكتفي فيها بخبر الآحاد الصحيح ، وهي التي لم نكلف باعتقادها كما نحن فيه[٩٣] .

وقد سبق أن رجحنا في الفقرة الثانية من هذا البحث ـ الحقائق والترجيحات إثبات الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وهذا الذي رجحناه هو الراجح عند كثير من العلماء كما بينا من موقف المثبتين وأدلتهم ، ومما يؤكد ذلك ويدعمه ان الطبري اللالكائي قد عقد فصلين

---

٩٢ ـ البقرة ٢٥٥ .

٩٣ ـ السيرة الحلبية حـ ١ ص ٤١٠ وانظر تفسير القرطبي حـ ٧ ص ٥٤ ـ ٥٦ وحـ ١٧ ص ٩٢

في رؤية الله أحدهما في سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد رأى ربه[٩٤] وثانيهما في سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه بقلبه[٩٥] ، ولم يعقد فصلا للنفي يسوق فيه ما روي عن عائشة رضي الله عنها وغيرها ، فدل ذلك على أن أهل السنة والجماعة يثبتونها[٩٦] ثم يختلفون في أنها بصرية أو قلبية . وقد علق محقق الكتاب على ذلك بقوله « مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل في الدنيا من المسائل الخلافية بين أهل السنة والجماعة والخلاف فيها قد وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم فروى إثباتها عن ابن عباس وسائر أصحابه وكعب الأحبار وأبي ذر ، وروي نفيها عن عائشة وابن مسعود وورد عن أبي هريرة كلا القولين ، وانقسم العلماء بعد ذلك الى ثلاث طوائف .

١ ـ طائفة أثبتت الرؤية البصرية .

٢ ـ طائفة أثبتت الرؤية القلبية ونفت البصرية .

٣ ـ طائفة توقفت . ثم رجح القول بنفي البصرية وإثبات القلبية[٩٧] وقد رجح النووي إثبات الرؤية وذكر أنه الراجح عند العلماء واختار صاحب التحرير إثبات الرؤية وقال : والحجج في هذه المسألة وان كانت كثيرة ولكنالا نتمسك إلا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما وكان الحسن يحلف لقدر رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه . والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الامة والمرجوع إليه في المعضلات ، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهم في هذه المسألة وراسله . . الى غير ذلك[٩٨] وقد رجح فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي اثبات الرؤية واعتبر ذلك هو الآية الكبرى التي أشار اليها قوله تعالى « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » فقال : لا شك أن جبريل كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في الارض وكان يشاركه في هذه المرائى وفي السماء أيضا كان معه جبريل لكن في الآية الكبرى .

كانت المرحلة الاخيرة التي لم يقدر عليها جبريل ولا أحد من الملائكة وقد انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، واذا نظرنا الى قول الحق سبحانه وتعالى أيضا « ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى » أنا شخصيا لست مع المفسرين حين يفسرون ( دنا ) . المدنو والداني

---

٩٤ ـ انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حـ ٣ ص ٥١٢

٩٥ ـ السابق ص ٥١٧

٩٦ ـ القرطبي حـ ٧ ص ٢٧٩ والبداية والنهاية حـ ٣ ص ١٢٣

٩٧ ـ هامش شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق الدكتور احمد احمد حمدان حـ ٣ ص ٥١٢

٩٨ ـ صحيح مسلم بشرح النووي حـ ٣ ص ٤ ـ ٥

جبريل . . . . والسبب أن جبريل مع محمد صلى الله عليه وسلم وما دام جبريل معه ؟ فمن الذي دنا ؟ ومن الذي كان قاب قوسين أو أدنى ؟ ذلك ملحظ آخر يعطينا أن الدنو في « ثم دنا فتدلى » بشى أخر . . . . من ربه . . أو ربه منه ، ايناس بما يكون من رؤيته للحق سبحانه وتعالى . . . . او من كلام الحق سبحانه وتعالى له[٩٩] .

ثم قال في موضوع آخر إن الله سبحانه وتعالى قد هيأ رسوله صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة الكبرى فنقله بين البشرية والملائكية وما هو أعلى منها حتى تحقق مراد الله تبارك وتعالى فقال فضيلته وهو يتحدث عن الإراءة والرؤية « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة تعرض لثلاث مراحل » .

المرحلة الأولى كان بشرا وجبريل عليه السلام يعرض على محمد صلى الله عليه وسلم الأشياء ثم يقول : ما هذا ياجبريل ؟ فيقول : هذا كذا وكذا . . .

المرحلة الثانية لما صعد إلى السماء كان يرى المرائي فلا يستفهم من جبريل عنها . . ويسمع فيفهم . . . إذا فقد تحول شيء في ذاتية محمد . . وأصبحت له ذاتية فاهمة بلا واسطة . . . ففي الارض إراءة وأما في السماء فقد رأى بالرؤية . . . ثم بعد ذلك نجد أنه بعد أن انتقل الى مرحلة تكون فيها ملائكيا كالملائكة يأتي بعد ذلك في منطقة أخرى بعد سدرة المنتهى فينتهى حد جبريل عليه السلام .

المرحلة الثالثة : يزج برسول الله صلى الله عليه وسلم في سبحات النور ولم يكن جبريل معه ، وهذا دليل على أن محمدا عليه الصلاة والسلام قد ارتقى ارتقاء آخر ، ونقل من ملائكية لا قدرة لها على ما وراء سدرة المنتهى الى شيء من الممكن أن يتحمل إلى ما وراء سدرة المنتهى ودون مصاحبة جبريل عليه السلام . إذا إن سيدنا محمدا كان بشرا في الارض مع جبريل ، وبعد ذلك كانت له ملائكية مع الرسل ومع جبريل في السماء ، وبعد ذلك كان له وضع آخر وارتقى به عن الملائكة حتى إن جبريل نفسه يقول له : أنا لو تقدمت لاحترقت ، وأنت لو تقدمت لاخترقت . . . وعلى هذا : هناك ثلاثة اشياء حدثت لمحمد صلى الله عليه وسلم : بشرية في الأرض معهودة بالمدد ، وبعد ذلك ملائكية في السماء ، قبل سدرة المنتهى . ثم بعد ذلك ملائكية فوق الملائكية وهي التي كانت بعد سدرة المنتهى يصبح فيها قاب قوسين أو أدنى ويتعرض فيها الى خطاب الله سبحانه وتعالى وإلى رؤية الله سبحانه وتعالى . . . على خلاف بين العلماء في هذا . . .[١٠٠] .

---

٩٩ ـ الاسراء والمعراج ص ٦٢ ـ ٦٣

١٠٠ ـ الإسراء والمعراج ص ٥١ ـ ٥٣

إذا فالشيخ قد رجح إثبات الرؤية من جانبين أولا باستبعاد أن يكون جبريل هو المراد في قوله تعالى « ثم دنا فتدلى » لأن جبريل كان معه في جميع المراحل وقريبا منه ، وإنما المقصود هنا دنو الرسول من ربه ودنو ربه منه . وثانيا بتهيئة صلى الله عليه وسلم الى حالة فوق الملائكية استطاع بها أن يخترق سبحات النور التي لم يتمكن جبريل عليه السلام بالاقتراب منها واختراقها ، وهناك تعرض لخطاب الله تعالى ورؤيته على خلاف بين العلماء في ذلك .

# الخاتمـــة

**أولاً** : مما سبق يتبين لنا أن دراسة الأسراء والمعراج يجب أن تقوم على كتاب الله الكريم والسنة النبوية الصحيحة وقد قدمنا من هذا وذاك ما رأيناه كافيا ووافيا بالهدف في إلقاء الأضواء على الإسراء والمعراج .

**ثانيا** : أن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة واجتهادات العلماء وترجيحاتهم قد قدموا لنا مجموعة من الحقائق لا يجوز إنكارها أو الميل عنها .

**ثالثا** : أن ما أثاره أعداء الاسلام في الماضي والحاضر من شبهات وأباطيل تنكر هذا الحدث العظيم أو تشكك فيه وفي كيفيته ليست إلا شبهات واهية وأباطيل كاذبة ما لبثت أن ماتت أمام الحق الأبلج والبرهان الساطع .

**رابعا** : فيما يخص رؤية الله تعالى ذكرنا الروايات المثبتة لها والنافية وآراء العلماء وعرفنا أنها من المسائل الشائكة وأن الأدلة فيها تكاد تكون متساوية ولكننا رجحنا منها الأدلة المثبتة وأيدنا ذلك بآراء كثير من العلماء في الماضي والحاضر . . . وبعد .

فقد تبين لنا من كل ما سبق أننا أمام نعمة كبرى من أنعم الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ومعجزة من المعجزات التي أيده الله عز وجل بها وإن لم تقترن بالتحدي ، وقد ثبتت هذه المعجزة بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة فقد سرى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان قد نزل به من الهموم والاحزان بعد موت حبيبيه أبي طالب وخديجة ، وبعدما لقيه من مشركي مكة والطائف من العنت والايذاء ، فكانت هذه المعجزة تثبيتاله وتأييدا وتسلية وتعزية ، وتفريجا وترويحا ، اطلع فيها على آيات الله عز وجل في السابقين واللاحقين والمؤمنين والكافرين والسموات والارض والجنة والنار والملائكة الاخيار والانبياء الأطهار ، وتلقي فيها تكليفا عظيما له ولأمته هو الصلوات الخمس . فكانت الرحلة تأييدا عظيما ثم أيده الله عز وجل ثانية حين أخبر بها المشكرين فكذبوه فأراه آيات أخرى كوصف بيت المقدس وأحوال القوافل

التجارية وما حدث لها ويوم وصولها ، فمنهم من وفقه الله تعالى فازداد إيمانا وتصديقا ، ومنهم من خذله الله عز وجل فأعرض عن هذه الآيات وأنكرها .

وخير ما نختتم به هذا البحث قول أبن هشام وهو يحكى الأحاديث والروايات عن كثير من الصحابة وفيها اختلاف : « كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسرى به صلى الله عليه وسلم وكان في مسراه وماذكر عنه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله عز وجل في مقدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولي الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه على يقين ، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من امره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد[١٠١] .

وقول الرازي : « ثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات ، وثبت أن حصول الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد في جسد محمد صلى الله عليه وسلم ممكن ، فوجب كونه تعالى قادرا عليه ، وحينئذ يلزم من مجموع هذه المقدمات أن القول بثبوت هذا المعراج أمر ممكن الوجود في نفسه ، اقصى ما في الباب أنه يبقى التعجب ، إلا أن هذا التعجب غير مخصوص بهذا المقام بل هو حاصل في جميع المعجزات . . فان كان مجرد التعجب يوجب الانكار والدفع لزم الجزم بفساد القول باثبات المعجزات ، واثباته المعجزات فرع على تسليم أصل النبوة .

أقول هذا وأدعمه باقوال العلماء واختتم به لاقطع السبيل على أولئك الذين لا يعدون الإسراء والمعراج من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فضلا عن انكاره والتشكيك فيه ـ لأنه لم يكن للتحدي حيث لا يلزم التحدي في المعجزة بل يكفي التأييد والتثبيت بعد كونها أمرا خارقا للعادة يظهره الله على يد النبي تأييدا له وتصديقا لدعوته ، وهذا هو الذي كان في الإسراء والمعراج ، على أنها لا تخلو أيضا من التحدي فمن يستطيع ذلك ؟؟ وقد تحداهم الله عز وجل بمثله فقال : « يا معشر الجن والإنس أن إستطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان »[١٠٢] والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين والحمد لله رب العالمين .

---

١٠١ ـ السيرة النبوية مج ١ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧

١٠٢ ـ التفسير الكبير حـ ١٩ ص ١٥٠ وتفسير غرائب القرآن حـ ١٥ ص ٦

# المراجع


١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ صحيح البخاري ادارة الطباعة المنيرية ـ عالم الكتب ـ بيروت
٣ ـ صحيح مسلم
٤ ـ الإسراء والمعراج محمد متولي الشعراوي ـ مكتبة التراث الاسلامي ـ مصر
٥ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ تحقيق محمد عبد العزيز النجار / مطبعة الفجالة ـ مصر .
٦ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابور هامش تفسير الطبري . دار المعرفة ـ بيروت .
٧ ـ تفسير القرآن العظيم ـ أبن كثير دار ومكتبة الهلال ـ بيروت .
٨ ـ التفسير الكبير ( مفاتيح الغيب ) للفخر الرازي . دار الكتب العلمية ـ طهران .
٩ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ـ نشر دار الفكر . مصر .
١٠ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ مصر ١٩٨٧
١١ ـ حدائق الأنوار لابن الديبع الشافعي ـ دار احياء التراث / قطر .
١٢ ـ حياة محمد ـ د / محمد حسين هيكل
١٣ ـ خاتم النبيين ـ للشيخ محمد أبو زهرة / دار احياء التراث ـ قطر .
١٤ ـ زار المسير في التفسير لابن الجوزي
١٥ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم ـ دار الكتاب العربي . بيروت .
١٦ ـ السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج ـ صديق خان / دار احياء التراث الاسلامي ـ قطر .
١٧ ـ السيرة الحلبية لعلي برهان الدين الحلبي المكتبة الاسلامية . بيروت
١٨ ـ سيرة الرسول لمحمد عزة دروزة ادارة احياء التراث الاسلامي . قطر.
١٩ ـ السيرة النبوية لابن هشام نشر مصطفى الحلبي مصر .
٢٠ ـ السيرة النبوية للندوى ادارة احياء التراث الاسلامي ـ قطر .
٢١ ـ صحيح مسلم بشره النووي ـ النووي المطبعة المصرية ومكتبتها .
٢٢ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ الطبري اللالكائي تحقيق د / احمد حمدان .
٢٣ ـ عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري ـ صديق خان ـ دار احياء التراث / قطر .

٢٤ ـ عيون الأثر « السيرة النبوية » لابن سيد الناس. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر .
٢٥ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ لابن حجر العسقلاني / نشر دار البحوث ـ السعودية . ودار الفكر للطباعة والنشر .
٢٦ ـ فقه السيرة ـ للشيخ محمد الغزالي / دار احياء التراث / قطر .
٢٧ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية / القاهرة .

الْـمُلْكُ بالدينِ يبقى ، والدِّينُ بالْـمُلْكِ يقوى[1] .

ومَوارِدُ الأمورِ تشتبه ، وفي مصادرها يتضح اليقين .

وإذا ضَعُفَ السلطان قوى الشيطان .

ولاَ يَسْلَمُ على الناس أحد ، ولم يجتمعوا في الرضا على بشر .

وطهارةُ النفس تُعَدُّ غبطةً دائمة .

وما أَبْيَنَ وجوهَ الخير والشر في مرآة العقل ، إذا لم يُصْدِئْهاَ الهوى .